حياة النابغة الذبياني وشعره

النابغة هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، يكنى أبو امامة ويلقب بالنابغة (وذلك لنبوغه في الشعر وإكثاره منه)، قال عنه ابن رشيق القيرواني هو أحد شعراء الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء وهو أحد الأشراف ، وكان يضرب له قبة من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها وقد عده ابن سلام في طبقاته (بعد امرؤ القيس وقبل زهير والأعشى وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعده أشعر العرب).

وقد وصف النابغة من بين الشعراء أحسنهم ديباجة لفظ وجلاء معنى ولطف اعتذار، وهو لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب وهو من أشراف ذبيان وقد اتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبته للنعمان بن المنذر الذي أدناه منه واتخذه جليساً ونديماً حتى صار لا يأكل ولا يشرب إلا في صحاف الذهب والفضة ومما جاء في أخباره أنه انقطع إلى مناذرة العراق ثم إلى غساسنة الشام فكان شاعر بلاط موفوراً جانبه مرغوباً في مدحه، ولكنه لم ينس في حالتيه قومه وأحلافهم.

والنابغة من سادات قومه، لما كان للشعراء من منزلة في الجاهلية وللدور الذي لعبه في توسطه لقومه عند الغساسنة ومنعهم من حربهم، في مواقف عديدة. أما لماذا "غضّ الشعر منه" فزعم لا يقبله النقد الحديث، فقد كان النّابغة معزّزاً عند الملوك، ومكرماً في قومه، وإنما هو حسد الحاسدين الذين لم يقووا على الارتفاع إلى منزلة الشاعر، فراحوا يعيّرونه لتكسبه بالشعر، وربّما قصد بتلك الغضاضة هروبه من بلاط النعمان بن المنذر إثر "حادثة المتجردة".

اتصال النابغة بالمناذرة

وعندما رقي النعمان بن المنذر ، أبو قابوس عرش الحيرة، أراد أن يظهر بمظهر الملك العزيز الجانب وينافس أعداءه الغسانيين بمظاهر العظمة. وكان النعمان على ما يظهر محباً للأدب أو كان يدرك على الأقل ما للشعر من أثر كبير في الدعاية للبلاط وتصويره بصورة الفخامة، وهكذا اجتمع في بلاطه جملة من الشعراء كان النّابغة أبرزهم وقد ترك آنذاك الغساسنة وعاد إلى الحيرة.

علاقته بالنعمان

وتتفق روايات المؤرخين على أن النّابغة نال حظوة كبيرة عند النعمان الذي قرّبه إليه بعد أن أحسن وفادته. ولا شك أن الشاعر نزل من نفس الملك منزلة طيبة فآثره هذا بأجزل عطاياه وأوفر نعمه، مما لم ينله شاعر قبله، ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه أن النّابغة كان يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب.

يقول في مدح النعمان بن المنذر :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

اتصال النابغة بالغساسنة

يقال بأن السبب في مفارقة النّابغة النعمان، ومصيره إلى غسّان، خبر يتصل بحادثة المتجردة. والمتجردة هذه، امرأة النعمان، وكانت فائقة الحسن، بارعة الجمال، وكان النعمان على ما يروى قصيراً دميماً أبرش. وقد تعددت الروايات حول وصف النابغة للمتجردة.

. ولعلّ اتصال النابغة بالغساسنة، أعداء المناذرة، كان سبباً آخر من أسباب حقد الملك على الشاعر، ولا مسوّغ هنا للتفصيل ومناقشة هذه الآراء. وأقام النابغة في بلاط الغساسنة، منقطعاً إلى عمرو بن الحارث الأصغر وإلى أخيه النعمان بن الحارث .

ان طبيعة الموضوعات التي كتبت فيها القصائد، تكمن في المفردة الشعرية وقد تستمد جماليتها من خلال السياق الذي توضع فيه وإذا انفصلت عن السياق جاءت غريبة ومنعزلة عنه فتفقد بعدها الايحائي المؤثر، وإن اختيار النابغة لألفاظه التي تمثل معجمه الشعري جاء موافقا لطبيعة عصره ولحالته النفسية.

وقال النابغة في مديح الغساسنة :

كليني لهمّ يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(حفظ تكملة المقطوعة ٣ ابيات) مع شرح الابيات .

قصيدته في الاعتذاريات

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع

حفظ تكملة المقطوعة (٥ ابيات) ص ٢٨٨ مع دراسة شرح الابيات الشعرية .

مطلع معلقته :

يا دار مية بِالعلياء فالسند أَقوت وطال عليها سالف الأَبد

حفظ (٣ ابيات) ص ٢٩٣ مع دراسة لشرح الابيات